في الذكرى الأولى لرقاد الأب أنطوان ملكي المغبوط الذكر

الكلمة التي أُلقيت في جنّاز السنة، كنيسة القدّيس ساسين، عفصديق الكورة

اليوم، يا إخوة، نعيش في الذكرى الأولى لانتقال أبينا أنطوان ملكي عيدًا قياميًّا بامتياز، فرحين كما في أعياد كلّ قدّيسي كنيستنا المقدّسة.

أبونا طوني،

ذاك الراعي الغيور، والكاهن المستقيم الرأي، والأب المعرّف المرشد المصلّي، في كلّ ما عاشَ ونطقَ وفعلَ، المحرَّك بالمحبّة الصافية، تلك المحبّة التي لا يريد العالم في ضوضائه أن يعرفها، لأنّها ليست من هذا العالم.

عاشَ وخدمَ في هذه البلدة الصغيرة كاهنٌ ماثلَ الأنبياء والرسل والآباء القدّيسين في الاتّكال على العناية الإلهيّة، التي لم تخذله يومًا، وذلك لأجل تواضعه وعفافه، إذ إنّه لم يطلب مجدَ هذا العالم ولا فضّته ولا مقتنياته ولا ملذّاته، ممجِّدًا يسوع مبتغاه وشوقه الوحيد.

في هذه الأيّام الأخيرة حيث ازدادَ الضيق، ظهرَ أبونا طوني منارةً لاستقامة الرأي، موزِّعًا بمحبّةٍ العناية والأشفية والتعزية على كلِّ مَن قصدَهُ ضارعًا، مؤمنًا بيسوع المعلم الرؤوف.

علّمَ أبونا طوني النُّسكَ لمن ليسوا رهبانًا، لا بالوعظ أو الكلمات فقط، وهو الذي برعَ في الوعظ والكتابة، بقوّة الروح القدس، بل بحياته نفسها. فعاشَ حياة الزُّهد المتواضعة عاضدًا الفقير والجائع والمعوز، إخوة الربّ الصغار، مُفرِغًا كلّ ما وصلَ إلى يدَيه من خيرات، غير آبهٍ بغَدٍ أودعَه العناية الإلهيّة بتواضعٍ وإيمان.

حملَ أبونا صليبَ آلامه الكثيرة بصبرٍ وتواضع، فأعطاهُ الربُّ القوّة لحملِ آلام كلّ متألّمٍ في رعيّته وفي كلّ الأرض، مُصلّيًا بحرارةٍ ودموعٍ كي يُبعِدَ الثالوثُ القدّوس عن الكنائس الانشقاق، وعن الأمم الحروب، وعن البشر الأوبئة، وعن المستقيمي الرأي البدعَ المُضِلّة.

فجابهَ البُغضَ بالمحبّة، والتهديدَ بالصمت، والجهلَ بالعلم النافع للنفوس، والشحَّ بالعطاء، والافتراءَ بالصلاة،

والخوفَ بالتضرُّع، والهرطقات بالبحث في كتابات الآباء والتعليم. وواجهَ العصرَ وقوَّاتِه المظلمة، بالصَّوم والوعظ والكتابة.

ظهرَ أبونا منارةً لسبّاحي العُمر في عاصفةِ البدَع والتراخي، المتخبِّطين في أمواج الهرطقات العاتية، جاذبًا إلى ميناء الخلاص كلَّ مَن وضعَ نُصبَ عينَيه المسيحَ شوقًا ومَقصَدًا، مُحرّرًا المؤمنين من براثنِ الجهل الروحيّ القاتل. مترجِمًا ومعلّمًا واعظًا عاملًا بكلمة سيّده.

ردّ أبونا إلى عفصديق الأنطاكيّة، صحّة اسمها (قبر الصدّيق)، إذ فيها خدمَ ساجدًا للثالوث القدّوس بالروح والحق. وقد أضحَت الآن حاويةً لرفاته الطاهر العطِر، ومزارًا لكلِّ مَن عرفَ هذا الأبَ المغبوط.

ميّزَ أبونا البارّ علامات الزمن الرديء، وحذّرَ من ذئابٍ كثيرين آتين نحو خرافِ رعيّته بثياب حملان. تبيّنَ البدع وهي بعدُ في أوكارها البعيدة، وحاربَها باذلًا ذاته عن المؤمنين بالأصوام والأسهار والصلوات والعظات. أتقنَ علوم المنطق الدنيويّ؛ وبحرارة إيمانه وتواضعه، أخضعَ العقلَ والعلوم للحياة الروحيّة، فحصل بذلك واعظًا حكيمًا، ومرشدًا حريصًا، ومدافعًا صنديدًا عن استقامة الرأي.

لقد زيّن أبونا طوني صلابةَ شخصيّته بالطاعة والحنان الإلهيّين. ولم يترك رعيّته حتّى آخر يومٍ في حياته الأرضيّة، على الرغم من تعبه وألمه. فشابهَ القدّيسين الذين علّمَ سيَرهم، وورِثَ الروح الذي عملَ فيهم: طبيبًا شافيًا في الكنيسة مشفى الروح، ماقتًا للفضّة، مُعترفًا ومعلمًّا مخضرمًا مدافعًا بالروح الإلهيّ والمنطق العالميّ عن الإيمان القويم، ناسكًا عفيفًا في عالمٍ طغى عليه روحُ المادّة الشرّير، وشهيدًا حيًّا شجاعًا في كلّ ميادين الحياة.

أيّها الأب أنطونيوس، أبانا طوني، يا أبانا البارّ الحنون في الربّ، لقد شرّف اللهُ العادلُ سيرتك يوم انتقالك، فملأ بنوره غير المخلوق محيّاكَ نورًا، وأظهرَ لنا بكَ عجائبَ باهرة. فاستعطِفه الآن إذ أنتَ متنعّمٌ في حضرته، لكي يشفق علينا نحن عبيده الغارقين في يأس الخطيئة وأحزانها، وتشفّع بنا نحن أبناءك كي يمنحنا الثالوثُ القدوس، القوّة والثبات، فنسلكَ الطريقَ الذي عبَّدتَهُ أمامنا، وبذلك ننال الغفران والرحمة العظمى.

المجد لله على كلّ شيء!

المسيح قام، حقًّا قام!